سلبية الإعلام وتنفيذ مخططات تقسيم وإسقاط الدول

السيد خلاف

ثمة تساؤلات بشأن دور الإعلام في تنفيذ مخططات " أجنبية صهيونية " من شأنها أن تهدم دولا وتعيد تقسيمها وصولا إلى تفتيتها، وهل يصبح هذا الدور سلبيا أو أنه إيجابي من منظور تبني أجندة أو عمالة ترقى إلى درجة الخيانة؟! .. وفى المقابل هل تكون الدوائر الإعلامية عميلة لتنظيمات أو دول وتقوم على الترويج لهذه المخططات سواء كانت مخططات دول أو تنظيمات؟! .. وهل من المقبول أن يخرج الإعلام عن رسالته في كشف المستور والحقيقة الكاملة بكل شفافية للجماهير؟! ..أو أن الإعلام يشارك في تنفيذ هذه المخططات من دون قصد، فيصبح دوره سلبيا عن غير عمد؟!

بداية أقول أن الذين لم يقرؤوا التاريخ يظنون أن ما يحدث بالمنطقة هو وليد سياسات أنظمة دفعت شعوبها لإسقاطها من أجل الديمقراطية والحرية فقط، وإنما هو نتاج خطط وضعت في دوائر صنع القرار السياسي لدول تعمل على تنفيذ مخططات التقسيم والتفتيت لدولنا حتى تكون دويلات كرتونية على الجغرافيا التاريخية لدول العالم.

ولم يكن ما صنعته أمريكا بالعراق من احتلال وتقسيم أمرًا مفاجئًا، وإنما جاء وليد الأحداث التي أنتجته، وما يحدث الآن بعدد من دول المنطقة له دوافع وأسباب، ولن أنسى أن الحقيقة الكبرى هي: أن ما يحدث الآن في دولنا العربية (سوريا وليبيا)، وما حدث من قبل في العراق، أنموذجا في تنفيذ مخططات صاغتها دول كبرى وعملت على تنفيذها بأيدي أبنائها ومساعدتها.

وهذه المخططات تهدف بالأساس إلى تحويل دول إلى كيانات عرقية ودينية وطائفية لا تتوقف عن الاقتتال وتقاسم الثروات والنفوذ، وتحويلها إلى كيانات صغيرة، تكون فيه إسرائيل الكيان الأكبر، الذي تهرول إليه دول وأنظمة لتنال شرعية وجودها.

ويؤدي الإعلام دورا كبيرا في هذا الصدد، إذ إنه الجهاز الأوحد والأسرع في الوصول إلى الجماهير والأجهزة المعنية بالدول، ودوره هنا قد يكون سلبيا أو إيجابيا، على أن التناول الإيجابي هدفه التبصير والتنوير وتنبيه صانع القرار السياسي بدلالات الحدث وأبعاده .

أما التناول السلبي فقد يكون سلبيا عن قصد، أو سلبيا عن غير قصد! .. ولعل أبرز ما تناولته أجهزة الإعلام، بقصد أو دون قصد، الوثيقة الخطيرة لـ"برنارد لويس" التي تحدث فيها عن مخطط التفتيت والتقسيم لدول المنطقة، الذين تناولوها عن غير قصد أرادوا تعريف المسلمين بالمخطط، وخاصة الشباب الذين تعرضوا لأكبر عملية "غسيل مخ" يقوم بها فريق يعمل بدأب، لخدمة المشروع الصهيوني الأمريكي .

وبلغ الكذب منتهاه حين اقتنعت شعوب بأن هذه المخططات مجرد "نظرية مؤامرة" لا وجود لها، على الرغم من أن العين المجردة تراها ماثلة على أرض الواقع في كثير أو قليل بدول المنطقة كما أشرت سابقا.

وأما الذين تناولوها بقصد فهم الذين أرادوا تنفيذ المشروع والترويج له، وهم الذين قصدوا تنفيذ المخطط ونفذوا الدور السلبي للإعلام، إما جهلا برسالة الإعلام أو عمالة للدول التي وضعت

المخطط، وأرادت تنفيذه تحت مسميات ما أنزل الله بها من سلطان.

وتلك المسميات هي " الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية "، التي استخدمتها الدول القائمة على تنفيذ المخطط، وهي مسميات استخدمت في غير محلها ولا زمانها، إذ إن هذه الدول ذاتها لا تعرف هذه المسميات ولا تؤمن بها حال تعرضها لخطر انهيار أو تفتيتها وتقسيمها، بعد إسقاط أنظمة الحكم فيها، كما أنها تنحيها جانبا عند اندلاع مظاهرات عاتية فيها.

ولعل أقرب مثال على ما ذهبت إليه المظاهرات التي قامت بها حركة السترات الصفر في فرنسا ضد الظلم الاقتصادي وحكومة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والتي اعتقلت خلالها الحكومة الفرنسية عشرات المتظاهرين ضاربة عرض الحائط بشعارات الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان .

وكذلك بريطانيا التي نفت حين استخدم الأمن البريطاني القوة في مواجهة المتظاهرين ضد رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون، ما نسب إليه من أنه قال في خطابه الذي ألقاه في أوكسفورد حينها : "عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي فلا يحدثني أحد عن حقوق الإنسان" .

وقصدت من ذكر الأنموذجين السابقين الإشارة فقط إلى أن حين يحدث ذلك في دولنا تخرج عواصم دول مخططات التفتيت وأجهزتها واذرعها الإعلامية التي تنفذ الدور السلبي للإعلام، والمنظمات التي جندتها وتطالب حكوماتنا وأنظمة الحكم فيها بعدم المساس بالمتظاهرين والاستجابة لمطالبهم والتي قد تؤدي في النهاية إلى إسقاط الحكم والدولة ودخولها في أتون حرب أهلية و صولا للتفتيت وتقا سم ا لسلطة والثروات.

ولعل ما نشرته وزارة الدفاع الأمريكية عن مشروع برنارد لويس أفضل أنموذج على الدور السلبي للإعلام "وعن قصد" في تنفيذ مخطط التفتيت، والذي صاغته سياسة أمريكا الخارجية في مشروع الشرق الأوسط الجديد، والفوضى الخلاقة، أو ما أطلق عليه لاحقا ثورات الربيع العربي، وهو المشروع الذي أدخل دولا عربية، حتى الآن، في حروب أهلية لم تضع أوزارها بعد، وقد تنتهي بالتقسيم والتفتيت وأشير هنا أيضا إلى ما نشرته صحيفة "وول ستريت جورنال" في مقال لها عن المستشرق البريطاني الأصل اليهودي الديانة الصهيوني النزعة والفكر قالت فيه: " إن برنارد لويس المؤرخ البارز للشرق الأوسط وَفَّرَ الكثير من الذخيرة الأيدلوجية لإدارة بوش في قضايا الشرق الأوسط والحرب على الإرهاب، حتى إنه يُعدُّ بحقٍّ منظرًا لسياسة التدخل والهيمنة الأمريكية في المنطقة ".

وأؤكد هنا أن الإعلام العربي لم يكن له أي دور في كشف المستور الأيديولوجي في سياسة واشنطن، كما لم يكن هناك دور للدوائر ا لسيا سية بالمنطقة لدراسة وتحليل التوجه الأمريكي باتجاه التغيير والإسقاط والتقسيم.

وفي المقابل عملت واشنطن على تطوير روابطها الوثيقة مع برنارد لويس بالمعسكر ا لسيا سي للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين، ويشير الباحث الأمريكي "جريشت" بمعهد العمل الأمريكي إلى أن لويس ظلَّ طوال سنوات "رجل الشؤون العامة لأمريكا "، كما كان مستشارًا لإدارتي بوش الأب

والابن، وهي الإدارة التي عملت على بدء تنفيذ مشروعها في العراق.

ودليلي هنا أنه في الأول من مايو عام 2006، ألقى "ديك تشيني" نائب الرئيس "بوش الابن" خطابًا لتكريم " برنارد لويس" في مجلس الشؤون العالمية في فيلادلفيا، قال فيه ديك تشيني: " أن لويس قد جاء إلى واشنطن ليكون مستشارًا لوزير الدفاع لشؤون الشرق الأوسط "، واللافت هنا أن الإعلام العربي لم ينتبه إلى كل ذلك، ولم تفهم دوائر القرار السياسي وأجهزة المخابرات بالمنطقة إلى أبعاد كل ذلك ومؤشراته ودلالاته، بل وذهبت تعمل أجهزة الإعلام بسطحية شديدة، ولست مبالغا إن قلت أن منها من تبني ما تحدثت عنه الدوائر السياسية الأمريكية بضرورة تنفيذ هذه المخططات للشرق الأوسط الجديد، من منظور الديمقراطية والتغيير حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن. والأدهى والأمر أن أجهزة الإعلام والدوائر الفكرية والسياسية لم تسمع أو ترَ أو تعلم عن كتابات العراب الصهيوني واحتضان المحافظين الجدد في واشنطن له خاصة بعد تكريم ديك تشيني له، وكتابه "حرب مندسة وإرهاب غير مقدس"، ولا حتى لدوره الذي صاغه من خلاله للمحافظين الجدد في إدارة الرئيس بوش الابن إستراتيجيتهم في العداء الشديد للإسلام من خلال وضع إستراتيجية الغزو الأمريكي للعراق، بما يؤكد سلبية الإعلام العربي أو غيابه عما يدور ويحاك لبلادنا العربية.

وبحسب ما ذكرته الصحيفة الأمريكية "وول ستريت جورنال" فإن "برنارد لويس" كان مع الرئيس بوش الابن ونائبه تشيني، خلال اختفاء الاثنين على إثر حادثة ارتطام الطائرة بالمركز التجاري العالمي، وخلال هذه الاجتماعات ابتدع لويس للغزو مسوغاته وأهدافه التي ضمَّنها في مقولات "صراع الحضارات" و"الإرهاب الإسلامي". وعزز ما ذكرته الصحيفة ما نسبته وكالة الإعلام الأمريكية إلى لويس نفسه في مقابلة أجرتها معه في 2005/5/20م أنه قال بالنص: " من الضروري إعادة تقسيم الدول العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم " .

ولست مبالغا هنا ان قلت إن الدور المفقود للإعلام العربي أنه لم يقف عند قول برنارد لويس وقتها، كما لم تتوقف عنده أجهزة سيادية في العواصم العربية،

خاصة وأنه تحدث صراحة بالقول: "يجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية، وخلال هذا الاستعمار الجديد لا مانع أن تقوم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية، دون مجاملة ولا لين، وتضييق الخناق عليها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات القبلية والطائفية فيها" .

ليس ذلك فحسب، بل إن الدوائر الإعلامية والسياسية في منطقتنا لم تعي أو تنتبه، حتى الآن، لما صرح به مستشار الأمن القومي الأمريكي " بريجنسكي " عام 1980م ، والحرب العراقية الإيرانية مستعرة من أن : " المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود "سايكس- بيكو"، وهنا يطرح السؤال نفسه: هل تدخلات إيران في الشؤون الداخلية لدول المنطقة وملفها النووي ..هل يكونان سببا في اندلاع حرب خليجية ثانية ؟! . والإجابة

تكشف عنها تطورات الأوضاع بالمنطقة، إلا أنه سيظل الدور العربي للإعلام سلبيا متغافلا، عن قصد او من دونه، لمخططات التفتيت، حتى بعد أن كلفت وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" المؤرخ الصهيوني بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية بين الدول العربية، حتى بعد موافقة الكونجرس الأمريكي بالإجماع عام 1983م، في جلسة سرية على مشروع التفتيت، واعتماده في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة. وهنا أعني الدور السلبي تحديدا سواء كان عن قصد أو غير قصد، ويقع اللوم عليه وعلى قصر نظر القائمين عليه، وعدم إدراك مفهوم الأمن القومي العربي واستراتيجيات العمل عليه، والدفاع عنه في برامجه، والتي تستلزم بالضرورة إعادة التأهيل والهيكلة.

ولا يعني ذلك إعفاء دول المنطقة وصناع القرار السياسي فيها من المسؤولية عما حدث ويحدث حتى الآن، كونها اكتفت بالعيش في ترف واستثمرت مقدرات شعوبها في بلاد صنعت سلاحا ووضعت خططا لإسقاطها وتفتيتها، وشاركت في تنفيذ تلك المخططات، ولست مبالغا إن قلت إنها مولت تنفيذها، ودارت في فلكها وتبنت قرارها السياسي ودعمت تنفيذه على المسرح السياسي!